"وصايا أواخر سورة "النحل"
(دراسة تحليلية)

الباحث: أيمن عادل السيد محمد راشد

الملخص:

يتلخص هذا البحث في الوصايا والتي وردت في الآيات الأربع الأخيرة من سورة النحل: وقد ابتدأت البحث بالتعريف الموجز بسورة النحل, مع الإشارة إلى أهم مقاصد السورة. ثم المبحث الأول: وفيه الوصية بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالطريق الأحسن، ثم المبحث الثاني: وفيه الوصية بالأمر بالعدل في العقوبة أو الصبر مع كون الصبر أولى، ثم المبحث الثالث: وفيه الوصية بالصبر في سبيل الدعوة، مع استحضار العون عليه من الله تعالى، وترك الحزن على المخالف.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) آمين

فإن نعم الله على الانسان لا تعد ولا تحصى حيث أرسل إليهم خير رسله محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام وأنزل عليهم خير كتبه. وهو القرآن الكريم، وقد ختمت سورة النحل، بوصايا كثيرة نافعة للإنسان ونعم جليلة, والتي يسميها بعض المفسرين سورة النعم، كما أن فضيلة الاستاذ الدكتور/ حسانين السعيد رئيس القسم, نوه لنا عليها في محاضرات تمهيدي الدكتوراه, ومن هذا المنطلق أحببت أن أساهم في إظهار هذه الوصايا التي ختم الله بها هذه السورة, والوقوف على شيء من معانيها وهداياتها في بحث مختصر جعلت عنوانه (وصايا أواخر سورة النحل – دراسة تحليلية –) سائلاً المولى عز وجل التوفيق.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

[١] إبراز ما جاء في القرآن من وصايا في خواتيم سورة النحل.

[٢] بيان لشيء من منهج القرآن في الدعوة الى الله وهو من المباحث الهامة المرتبطة بكتاب الله تعالى صلته الوثيقة بعلم مقاصد القرآن الكريم ففيه.

[٣] بيان طرق القرآن الكريم في الدعوة إلى دين الله تعالى

[٤] ايضاح المنهج الشرعي في الاقتصاص ممن ظلم. الوقوف على بعض هدي القرآن الكريم في التعامل مع المخالف.

حدود البحث:

يتناول هذا البحث الوصايا التي وردت في الآيات الأربع الأخيرة من سورة النحل.

الدراسات السابقة:

لم أقف على من أفرد هذا الموضوع بالبحث والدراسة, وجله منثور في كتب التفاسير المختلفة.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه وحدوده، والدراسات السابقة, وخطته والمنهج المتبع في كتابته. التمهيد: وفيه التعريف الموجز بسورة النحل معا ابرز مقاصد السورة والإشارة إلى المبحث الأول: الوصية بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن, المبحث الثاني: الأمر بالعدل في العقوبة أو الصبر مع كون الصبر أولى, المبحث الثالث: الحث على الصبر في سبيل الدعوة مع استحضار العون عليه من الله تعالى، وترك الحزن على المخالف بعد استفراغ الجهد معه. الخاتمة: وفيها أهم النتائج, قائمة المصادر والمراجع.

منهج البحث:

انتهجت في بحثي هذا المنهج التحليلي, و جعلت محتوى الآيات تحت عناوين تلخص ما ورد في الآيات من وصايا, ثم أظهرت آراء المفسرين والموازنة بينها لإيضاح دلالة الآيات ، مع العناية بإبراز ما يظهر من تناسب بين الآيات، كما قمت باتباع المنهج العلمي المتبع في كتابة هذه

البحوث العلمية وفق التالي: عزو الآيات إلى سورها, وكتابتها بالرسم العثماني وتخريج الأحاديث من مصادرها، عزو النقول والأقوال إلى مصادرها الأصلية.

هذا والله من وراء القصد أسأله التوفيق, إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد: التعريف بسورة النحل

سورة النحل: مكية في قول الجمهور، غير ثلاث آيات هي قوله تعالى: [ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ی □ □ □ □ □ □ □ □] (النحل١٢٦ – ١٢٨)[1]

وسميت سورة بهذا الاسم لذكر النحل فيها في قوله تعالى: [ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ] {النحل:٦٨} ولم يرد ذكر النحل في سورة أخرى غير هذه السورة.[2] وقال بعض السلف سميت بسورة النعم؛ لما عدد الله فيها من النعم، وأنواع المنافع على عباده.[3]

وعدد حروفها سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف وعدد كلماتها: ألف وثمانمائة وواحد وأربعون كلمة وتبلغ آياتها مائة وثمان وعشرون آية[4]

مناسبة السورة:

أنه ختم الله عز وجل سورة الحجر بالإشارة إلى إتيان اليقين، فإذا أصابهم الموت جاءهم ما يوعدون مما يستعجلون به ابتدأ النحل بمثل ذلك سواء، غير أنه ختم الحجر باسم الرب المشعر بالإحسان لطفا بالمخاطب وافتتح هذه باسم الله الأعظم الجامع لجميع معاني الأسماء لأن ذلك أليق بمقام التهديد.[5] ومن أوجه مجيء النحل بعد سورة الحجر: أن آخر الحجر شديد الاتصال بأول النحل؛ فإن قوله في آخر تلك [ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ] (سورة الحجر: (٩٩) الذي هو مفسر بالموت، ظاهر المناسبة لقوله هنا: أَتَى أَمْرُ اللَّهِ, وانظر كيف جاء في المقدمة بـ (يَأْتِيكَ الْيَقِينُ) بصيغة المضارع، وفي المتأخرة بلفظ الماضي؛ لأن المستقبل سابق على الماضي، كما تقرر في المعقول والعربية.[6]

وجاء التناسب بين سورتي الحجر والنحل: أنه لما قال تعالى فى السورة السالفة (فوربك لنسئلنهم أجمعين) كان ذلك تنبيهاً إلى حشرهم يوم القيامة، وسؤالهم عما فعلوه في الدنيا. فجاء

في الآية (أتى أمر الله) وأيضا فإن قوله تعالى في آخرها[ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ] شديد الالتئام بقوله: (أتى أمر الله)[٧]

وجاء تناسب سورة النحل مع السورة التي تليها وهي سورة الإسراء فهو أنه لما كان من مقصود سورة النحل التنزه عن الاستعجال وغيره من صفات النقص والاتصاف بالكمال، وختمها بالأمر باتباع إبراهيم عليه الصلاة والإشارة إلى نصر أوليائه – مع ضعفهم وقلتهم – على كثرته أعدائهم وقوتهم, وكان ذلك من خوارق العادات, وأمرهم بالتأني والاحسان.

افتتح سورة الاسراء بتحقيق ما أشار الختم إليه بما خرقه من العادة في الإسراء، وتنزيه نفسه الشريفة من توهم استبعاد ذلك، تنبيها على أنه قادر على أن يفعل الأمور العظيمة في أسرع وقت. دفعا لما قد يتوهم من يسمع نهيه عن الاستعجال وأمره بالصبر، وبياناً لأنه مع المتقي المحسن، وتنويها بأمر محمد صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وإعلاما بأنه رأس المحسنين وأعلاهم رتبة وأعظمهم منزلة بما آتاه من الخصائص التي منها المقام المحمود، وتمثيلا لما أخبر به من أمر الساعة فقال تعالى: (سُبْحَنَ) وهو علم للتنزيه، دال على أبلغ ما يكون من معناه. فنزه نفسه الشريفة عن كل شائبة نقص يمكن أن يضفيها إليه أعداؤه بهذا اللفظ الأبلغ عقب الأمر بالتأني آخر النحل.[٨]

أهم محاور سورة النحل:

قصدت سورة النحل الى اظهار قدرة الله تعالى، وسعة علمه، فهو سبحانه المتصرف في خلقه المنزه عن النقص ومن أبرز مقاصد ومحاورها التي تدور حولها هى:

إنذار وتخويف العباد بمجيء القيامة، القول بوحدانية مع إقامة الحجة على ذلك, بيان قدرة الله تعالى على تسخير الشمس والقمر، وتثبيت الأرض والجبال وهداية الكواكب فى السفر والحضر، عرض أحوال الأنبياء والمرسلين مع الأمم الماضية، وبيان جزاء مكر الكافرين، ولعنة الملائكة للظالمين، وسلامهم على المؤمنين، إظهار شيء من فوائد النحل، وذكر ما اشتملت عليه: من عجيب الحالات، مع بيان شيء من أوجه امتنان الله تعالى على خلقه بتسخير الطير والمنة بالمساكن والظلال والثياب, والأمر بالعدل والإحسان، والنهي عن نقض العهد والخيانة, وذكر عقوبة المكذبين كأهل السبت, الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة, ولأمر بالعدل في سائر الأحوال ومن ذلك العدل في المكافأة والعقوبة, الحث على الصبر عند البلاء، ووعد المتقين

والمحسنين بأعظم المثوبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَالَّذِينَ هُم محسِنُونَ).[9]المبحث الأول

الوصية بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن

الأحسن جاءت الوصية الأولى في خاتمة سورة النحل في قوله تعالى: [ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ] (سورة النحل (١٢٥) وقد جاءت هذه الآية وما تضمنته متناسبة مع ما ورد قبلها من آيات، فإن الله تعالى لما قدم في هذه السورة حكاية الكثير من استهزاء الكفار بوعده ووعيده، وتكذيبهم لرسله على أبشع وجه وأتبعه ضرب الأمثال، ونصب الجدال، وختم ببيان منهج إبراهيم عليه السلام، لما كان ذلك، أتبعه سبحانه بدعوة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم إلى أن يستن بآثاره، ويقتدي بمنهجه، وفسر له تلك الملة التي أمره باتباعها فقال تعالى: [ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ] سورة النحل: ١٢٥) فأوصى نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتباعه, وأن يجعل الأسس التي يبني عليها دعوته هي الحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالحسنى.[10] فكان هذا من مكارم الأخلاق لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ, واعلم أنه تعالى أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي: الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الأحسن, والأصل في معنى الدعوة: أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك,[11]

وذهب المفسرون إلى أن الاسلام هو السبيل الذي أوصى الله تعالى نبيه بالدعوة إليه أي: ادع من بعثت إليهم إلى الإسلام[12]، يتخذ معها الداعي أسلوب التدرج، فيدعو أولا بالحكمة، ثم بالموعظة الحسنة، ثم بالمجادلة بالتي هي أحسن.

تعريف الحكمة هي: اسم جامع لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحا مستمرا لا يتغير، والقرآن الكريم هو رأس الحكمة، وأعظم ما يدعى ويذكر به، قال تعالى: [ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ] {ق:٤٥}[13]

ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين.[14] فإن انقاد بالحكمة وإلا انتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة.

تعريف الموعظة هى: القول الذي يلين نفس المقول له ويجعله مهيئاً لعمل الخير. وعطف الموعظة على الحكمة؛ لأنها تغاير الحكمة من جهة العموم والخصوص، فإنه قد يسلك بالموعظة مسلك الإقناع، فمن الموعظة, حكمة، ومنها خطابة، ومنها جدل. وفي وصفها بالحسن حث على أن تكون لينة مقبولة عند الناس.

وقد جاءت الإشارة إليها في مواطن كثيرة من القرآن منها قوله تعالى: [ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ] (سورة النساء (٦٢)، وفي قوله تعالى: [ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ] (سورة الأعراف: ١٤٥). وهي أخص من الحكمة لأنها حكمة في أسلوب خاص لإلقائها.

الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب من الموعظة الحسنة, إما بإيضاح ما أعد الله للطائعين من الثواب وما أعد للعاصين من العقاب.[١٥] فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، فإنَّ هناك من المدعوين من يحتاج إلى إلزامه وإفحامه بدليل.......[١٦]

والأصل في معنى المجادلة: الاحتجاج لتصويب رأي، وإبطال ما يخالفه.

ولما كان ما يلقاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذى المشركين باعثاً له على الغلظة عليهم في المجادلة؛ أمره الله بأن يجادلهم بالتي هي أحسن، مع الصبر على الأذى، والتحمل في سبيل الدعوة[١٧].

وينبغي ألا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها.

وجاء ذكر ذلك في عدة آيات إذا كان المقصود منها إظهار الحق، ودليل على جواز المجادلة والمناظرة بالحكمة والموعظة الحسنة: قال تعالى: [ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ] {العنكبوت:٤٦},وقال تعالى[ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ] (سورة الكهف (٢٢).

ولقد أوضح الله جِلَّ ذكره في خاتمة هذه الآية الكريمة: أنه أعلم بمن ضل عن سبيله, أي: زاغ عن طريق الصواب والحق، إلى طريق الكفر والضلال, ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: [ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ] {النجم:٣٠} ، وقوله تعالى: [ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ

ﯼ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ] (سورة القلم: ٧ – ٨). يقول الطبري موضحاً آخر الآية: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن قصد السبيل من المختلفين في السبت وغيره من خلقه، وحاد الله، وهو أعلم بمن كان منهم سالكا قصد السبيل ومحجة الحق، وهو مجاز جميعهم جزاءهم عند ورودهم عليه.

وقال بعض المفسرين أن الآية منسوخة بآية السيف. إلا أن الناظر في نزول الآية الكريمة يعلم أنها نزلت بمكة المكرمة في وقت الأمر بمهادنة المشركين وأمر الله تعالى نبيه صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين، دون مخاشنة وتعنيف وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة.

المبحث الثاني: الوصية بالعدل في العقوبة أو الصبر مع الحث على الصبر

الوصية الثانية من الوصايا الواردة في خواتيم سورة النحل قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّبِرِينَ) (سورة النحل (١٣٦).

وتتناسب هذه الآية مع السابقة لها، فإن الله تبارك وتعالى لما بين أمر الدعوة، وأوضح طرقها، ورتب تدرجها، وقد يجد الداعي من المدعوين صنوفاً من الأذى نهي عن مجازاتهم إلا على وجه العدل فقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُو قِبْتُم بِهِ...) ولما أباح لهم درجة العدل، رقاهم إلى رتبة الإحسان بقوله تعالى ولين صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّبِرِينَ[١٨].

وهذه الآية، والآيتان بعدها، مدنية في قول جمهور أهل التفسير[١٩] وأورد أهل التفسير والحديث روايات لقصة نزول هذه الآية, منها الغريب والحسن والضعيف, والله أعلم.[٢٠]

وهنا توجيه من الله تعالى لعباده المؤمنين فى الآية بأن ينهجوا المنهج الشرعي عند إرادة الاقتصاص ممن ظلمهم، فالمؤمن مخير بين إحدى طريقتين الأولى: أن تعاقبوا من تعدى عليكم بمثل الذي وقع عليكم من العقوبة ، فحينئذ أمر الداعي وأتباعه برعاية العدل والإنصاف في حال القتال قائلاً (وإن عَاقَبْتُمْ)إن رغبتم في استيفاء القصاص عند وقوع اعتداء أو قتل فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه.

وإنما سمى فعل المشركين معاقبة وهم ابتدأوا بالمثلة، ليتحقق ازدواج اللفظين، وتتناسب ديباجة القول، فيخف على اللسان، فسمى الفعل الأول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى: إن صنع

بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه، فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه كقوله تعالى: [ھ ھ ے ۓ] (سورة الشورى: ٤٠)[٢١] .

الثانية: أن تصبروا وتعفوا عما صدر منه من الذنب, وتصفحوا عنه، وتحتسبوا عند الله ما نالكم به من الظلم وتكلوا أمركم إليه سبحانه، وهو يتولى عقوبته، والصبر خير للصابرين من الانتقام, لأن الله ينتقم من الظالم بأشد مما يمكن أن ينتقم المظلوم لنفسه,

فالله تعالى يرغب عبادة في الصبر على الأذى والإعراض عن أذى المشركين والعفو عنه، لأنه أجلب لقلوب الأعداء، فوصف بأنه من الأخذ بالعقوبة كقوله تعالى: [ھ ھ ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ ﮵ ﮶ ﮷ ﮸ ﮹ ﮺ ﮻ ﮼] (الشورى: ٤٠) وقوله تعالى: [ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ] (سورة الشورى: ٤١)[٢٢] ثم صارت الآية عامة في وجوب القصاص وكيفيته, وأنه لا يجوز إلا مثلا بمثل, والعفو أفضل[٢٣] ، وحكى بعض المفسرين أن الآية منسوخة كسابقتها بآية السيف. كما أسلفت فى أول البحث.

إلا أن جمهور أهل التفسير يرون أنَّ الآية محكمة غير منسوخة وإنما نزلت فيمن ظلم بظلامة فلا يحل له أن ينال من ظالم أكثر مما نال الظالم منه، ففيها أمر بالجزاء أو العفو ونهي عن ا الاعتداء[٢٤]

ذكر الرازي مؤكدا على إحكام الآية وعدم نسخها, معللا ذلك بقوله قال بعضهم إن قوله تعالى :(وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّبِرِينَ) منسوخ بأية السيف. وهذا في غاية البعد لأن المقصود من هذه الآية تعليم حسن الأدب في كيفية الدعوة إلى الله تعالى، وترك التعدي وطلب الزيادة. ولا تعلق لهذه الأشياء بآية السيف، وأكثر المفسرين مشغوفون بتكثير القول بالنسخ ولا أرى فيه فائدة والله أعلم بالصواب.[٢٥]

ويقول الطبري مؤيداً القول بعدم النسخ: وأن يقال: هي آية محكمة أمر الله تعالى ذكره عباده ألا يتجاوزوا فيما وجب لهم قبل غيرهم من حق من مال أو نفس الحق الذي جعله الله لهم إلى غيره، وأنها غير منسوخة، إذ كان لا دلالة على نسخها، وأن للقول بأنها محكمة وجها صحيحا مفهوما.[٢٦]

المبحث الثالث: الوصية بالصبر في سبيل الدعوة وطلب العون من الله تعالى

ختم الله تعالى الوصايا الواردة في آخر سورة النحل بالحث على الصبر، وذلك في قوله تعالى: [ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ئد ى ى] (سورة النحل (١٢٧), وفي الآية توجيه من الله تعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: محمد بالصبر على الأذى في الله، والصبر على دعوة الخلق إلى دينه والاستعانة بالله على ذلك، وعدم الاتكال على النفس ولا يتحقق ذلك الا بمعونته وتوفيقه.(٢٧)

حيث أمر الله تعالى رسوله بالصبر صراحة بعد أن ندب إليه غيره في الآية السابقة, فهو عليه الصلاة والسلام أولى الناس بعزائم الأمور: لزيادة علمه بشؤونه تعالى،وفيه أيضا إشارة إلى أن مقامه أعلى، فهو بالتزام الصبر أولى، أخذاً بالعزيمة بعد أن رخص لهم في المعاقبة, فبعد أن كان الخطاب بالجمع، عطف عليه بالأمر بالصبر على صيغة الإفراد له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: إجلالاً له، وتسلية فيما كان من سبب نزول الآية من التمثيل بعمه حمزة رضى الله عنه، وتنويها بعظم مقام الصبر زيادة في حث الأمة. لأن أمر الرئيس أدعى لامتثال أتباعه، فقال تعالى: ﴿وَٱصْبِر) ثم أتبع ذلك بالحث على دوام الالتجاء إليه سبحانه، لئلا يتوهم أن لأحد فعلا مستقلا فقال تعالى: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ) فلا ناصر ولا معين غيره –عز وجل–.(٢٨)

ثم أمر رسوله ألا يضيق صدره بما يقولون من الجهل ونسبتهم ما جئتهم به إلى السحر أو الشعر أو الكهانة,وأرشده سبحانه بعدم الحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونه وينكرون ما جاءهم به فكل ما فعلوه إنما هو من باب الصد عن سبيل الله وصرف من أراد الإيمان به، والتصديق بما أنزل على نبيه صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وختم الله تعالى السورة بقوله: [ید □ □ □ □ □ □ □] {النحل:١٢٨} وهي آية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات، وفيها بيان أن الله سبحانه مع الذين اتقوا المعاصي كلها على اختلاف أنواعها، والذين هم محسنون بتأدية الطاعات، والقيام بما أمروا بها على أكمل وجه، مع كونها خالصة عن شوائب الرياء.(٢٩)

وفيها وعد من الله تعالى بالنصر للذين يحسنون رعاية فرائضه، والقيام بحقوقه، ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه فمن اتقى الله في أفعاله، أحْسَنَ إليه في أحواله[٣٠] ، فالمراد بمعيّة الله تعالى لعباده هنا هو التأييد والنصر والتوفيق، والتسديد[٣١]

يقول الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) مبيناً المراد بمعية الله في الآية ومستشهدا على المعنى من كتاب الله، وموضحا معنى المعية العامة والخاصة وهذه المعية بعباده المؤمنين وهي بالإعانة والنصروالتوفيق. وكرر هذا المعنى في مواضع آخر، كقوله تعالى: وقوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحَى رَبُّكَ إِلَى الْمَلائكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ ﴾ (سورة الأنفال: (١٣)، وقوله تعالى: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) (سورة التوبة: ٤٠)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ) (الشعراء: (٦٢)، إلى غير ذلك من الآيات. وأما المعية العامة لجميع الخلق فهي بالإحاطة التامة والعلم ونفوذ القدرة، وكون الجميع في قبضته – جل وعلا –: فالكائنات في يده – جل وعلا – أصغر من حبة خردل، وهذه هي المذكورة أيضا في آيات كثيرة, كقوله تعالى:﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ سورة الأعراف: ٧)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ الآية (سورة يونس: (٦١)، إلى غير ذلك من الآيات.

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات, الحمد لله على تمام البحث الذى خلصت منه إلى بعض النتائج أهمها ما يلى:.

. سورة النحل مكية غير ثلاث آيات من آخرها, في قول الجمهور، كما سميت بسورة النعم: لما عدد الله فيها من النعم على عباده.

. تدرج الداعي في الدعوة الى الله أولاً بالحكمة، ثم بالموعظة الحسنة، ثم بالمجادلة بالتي هي أحسن, أمره أن يبدأ بالحكمة التي هي كل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحا مستمرا لا يتغير, فإن انقاد وإلا انتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهي: القول الذي يلين نفس المقول له ويجعله مهيئًا لعمل الخير. يسلك الداعي مع المدعو المنهج القرآني المتضمن تضمن قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) دليلاً على أن المناظرة والمجادلة في العلم جائزة، إذا كان المقصود منها إظهار الحق.

. وجه الله عباده المؤمنين بأن ينهجوا المنهج الشرعي عند إرادة الاقتصاص ممن ظلمهم، فالمؤمن مخيّر بين أن يعاقب من تعدى عليه بمثل الذي ناله من ظالمه، أو يصبر ويحتسب الأجر من الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾

. ختم الله تعالى الوصايا بالحث على الصبر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ وتضمنت الآية الاستعانة بالله على ذلك، وعدم الاتكال على النفس ولا يتحقق ذلك إلا بمعونة الله وتوفيقه توجيها من الله تعالى لنبيه محمد صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم:

. ختم الله تعالى السورة بان أن الله سبحانه مع الذين اتقوا المعاصي كلها، على اختلاف أنواعها، والذين هم محسنون بتأدية الطاعات والقيام بما أمروا بها على أكمل وجه. بقوله: [إ □ □ □ □ □ □ □] وفيها كما اشتملت الآية على وعد من الله تعالى بالنصر والتأييد.....

سبحانك اللهم بحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك, وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

الهوامش:

(١) القول بمكية السورة للجمهور انظر: ابن عاشور في التحرير والتنوير: ١٤ / ٩٢, وانظر من قال بأن السورة مكيّة غير الآيات الثلاث في جامع البيان للطبري:١٤ /٤٠٣. وزاد المسير لابن الجوزي: ٢ / ٥٤٨.

(٢) انظر: محاسن التأويل للقاسمي: ٦ /٣٤٩.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:١٠/ ٦٥, و التحرير والتنوير لابن عاشور:١٤/ ٩٣.

(٤) انظر: غرائب القرآن للنيسابوري: ٤/٢٣٩

(٥) انظر: نظم الدرر للبقاعي: ١١ / ١٠١ - ١٠٢.

(٦) انظر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي: ١/ ٤٥, أسرار ترتيب القرآن للسيوطي: ص ١٠١. وقد ذهب بعض أهل اللغة إلى أن الأصل في الأفعال هو الماضي؛ لأنه أسبق الأمثلة؛ لاعتلال المضارع والأمر باعتلاله ولأن المضارع هو الماضي مع الزوائد، والأمر منه بعد طرحها، وفي الأسبق من الأزمنة الثلاثة خلاف.

(٧) انظر: تفسير المراغي:١٤ / ٥١.

(٨) انظر: نظم الدرر للبقاعي: ٢ / ٢١٣ - ٢١٤.

(٩) انظر: زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة: ٨ / ٤٢١.

(١٠) انظر: تفسير المراغي: ١٥٨ / ١٤.

(١١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٢/ ٢٧٩ (دعو).

(١٢) انظر: جامع البيان للطبري: ١٤/ ٤٠٠,

(١٣) انظر: زاد المسير لابن الجوزي: ٢ / ٣ ٥٩.

(١٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي: ص ٤٥٢

(١٥) انظر: السابق ص ٤٥٢.

(١٦) انظر: غرائب القرآن للنيسابوري: ٤ / ٣١٦/.

(١٧) انظر: الدر المنثور للسيوطي: ٥ /١٧٨, وجامع البيان للطبري:١٤ /٤٠١.

(١٨) انظر: وأنوار التنزيل للبيضاوي: ٣ / ٢٤٥, و تفسير المراغي: ١٦٢/١٤.

(١٩) جمهور أهل التفسير القرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ١٠ / ٢٠١, وحكى ابن كثير عن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة النحل"كلها بمكة وهي مكية إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة بعد أحد, انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/ ٦١٤. ومن القلة الذين خالفوا في القول بمدنية الآية وما بعدها: ابن عاشور في التحرير والتنوير: ١٤ /٢٢٦ – ٢٣٦, حيث قال: " وحكى الواحدي عن ابن عباس: أنها نزلت عقب غزوة أحد لما أحزن النبي اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم منظر المثلة بحمزة – رضي الله عنه– وقال: لأقتلن مكانه سبعين رجلا منهم, وهذا يدل على مدنية السورة.

(٢٠) الدر المنثور للسيوطى: ٥ / ١٧٨ – ١٧٩.والحافظ بن حجر في الفتح:٧ / ٣٧٢,والبيهقى فى الدلائل: ٣ / ٢٨٧.

(٢١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١٠ /٢٠٢, الكشاف للزمخشري: ٢ / ٦٤٤،

(٢٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي: ٢/ ٤٦٦.

(٢٣) انظر: بحر العلوم للسمرقندي: ٢ / ٢٩٨.

(٢٤) انظر: الشوكاني في فتح القدير: ٣ / ٢٤٣، ونسب القول للجمهور: وممن رجح القول بعدم النسخ وعزا القول بالإحكام للثوري و مجاهد وابن سيرين, وانظر أيضاً معالم التنزيل للبغوي: ٥ / ٥٤.

(٢٥) انظر: مفاتيح الغيب للرازي(ت ٦٠٦هـ): ٢٠/ ٢٨٩ –٢٩٠.

(٢٦) انظر: جامع البيان للطبري(ت: ٣١٠هـ): ١٤/ ٤٠١ –٤٠٦.

(٢٧) انظر: تفسير السعدى: ص ٤٥٢.

(٢٨) انظر: تفسير المراغي: ١٤ / ١٦٢، والتحرير والتنوير لابن عاشور: ١٤/٢٣٦.

(٢٩) انظر: الشوكاني في فتح القدير: ٣ / ٢٤٣،

(٣٠) انظر: جامع البيان للطبري (ت: ٣١٠هـ): ١٤/ ٤٠١ –٤٠٦.

(٣١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٤/ ٣٣٨.